

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٧٦ : خ ١ - وسائل الثبات على الإيمان ، خ ٢ - الغشاء البريتوني .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٣-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي
ولا اعتصامي ولا توكلّي إلا على الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً
بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر . وأشهد أنّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد
الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر . اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم ارحمنا فإنك
بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء
قدير . اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ،
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا
برحمتك في عبادك الصالحين .

الثبات على الإيمان :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ موضوع الخطبة اليوم وسائل الثبات على الإيمان من خلال الكتاب
والسنة الصحيحة ، وأما السبب الذي دعا إلى معالجة هذا الموضوع فالملاحظة الثابتة أن المسلم
له إقبال على الله عز وجل ، سريعاً ما يتراجع ، له فورة سريعة ما تخدم ، له تألق سريعاً ما
يخبو ، يُقبل ، ويتألق في مناسبات ، من هذه المناسبات شهر رمضان ، أو عقب سماع خطبة
مؤثرة يتألق يعزم على متابعة الطريق ثم يهمد ، إثر حادث وفاة أحياناً ، عقب مصيبة ثم النجاة
منها ، من خلال حدث تتبدى فيه عظمة الله عز وجل ، من خلال صحبة عارضة لمؤمن متفوق ،
من خلال حدث تتبدى فيه عظمة الله عز وجل ، من خلال حادث مؤثر ، من خلال مصيبة
تراجعت بتوفيق الله عز وجل ، من خلال حادث وفاة لقريب أو حبيب ، من خلال كلمة مؤثرة ،
أو خطبة مؤثرة ، في مناسبات تعبدية كرمضان والحج ، في هذه المناسبات المؤمن يتألق ، يُقبل ،
لكن سريعاً ما يخبو هذا التألق ، سريعاً ما يفتر هذا الإقبال ، إذا البطولة ليست في الإقبال ولا في
التألق ولا في الغليان ولكن البطولة في الثبات ، في الاستمرار .
فالإنسان إذا عاد إلى ما كان عليه لم يستفد شيئاً ، هذا الشأن لا يرقى بالمسلم ، هذه الموجات
النوبية ، هذه النفحات المتباعدة التي تأتيه هذه لا ترقى به ، لا بد من الثبات ، لا بد من الاستمرار ،

لابد من الإقبال المستمر ، لابد من التألق المستمر ، لابد من الغليان المستمر ، حتى ترقى ، وحتى تصل إلى ما ينبغي أن تصل إليه .

إذاً أيها الأخوة ؛ هذا شيء أقوله لكم وهو واضح وضوح الشمس : البطولة في الثبات ، وفي الاستمرار والمداومة ، البطولة في الثبات ، والاستمرار ، والمداومة ، فقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

[متفق عليه عن عائشة]

لزمت مجلس علم ثابر عليه ، لزمت تلاوة القرآن كل يوم ثابر عليها ، لزمت أن تصل أرحامك من حين إلى آخر ثابر على هذا العمل ، ألزمت نفسك بدفع صدقة ثابر عليها .

((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

[متفق عليه عن عائشة]

بطولة المؤمن أن يتخذ من هذا الدين منهجاً ثابتاً مستقراً :

أيها الأخوة الكرام ؛ حقيقة ينبغي أن تكون ماثلة في أذهانكم جميعاً : أن بطولة المؤمن لا في تألقه العارض ، لا في إقباله النبوي ، لا في اندفاعه المؤقت بمناسبة أو بأخرى ، هذا شأن أي إنسان ، ولو وضعت كافرأ في باخرة وأشرفت على الغرق لنادى ربه بأعلى صوته ، ولدعا ربه من صميم قلبه ، ليست بطولتك أن تُقبل في حالات الشدة ، ولا في مناسبات معينة ، ولا في أحداث رهيبة ، ولكن البطولة أن تتخذ من هذا الدين منهجاً ثابتاً مستقراً ، هذا هو موضوع الخطبة ، وهذا الموضوع من عادة الخطباء أن يعالجونه ، أو أن يعالجوه بعد رمضان ، لأن الإنسان أحياناً يتوهم أن شهر رمضان ولى ، فلنعد إلى ما كنا عليه من اختلاط ، من ندوات ، من سهرات ، من أعمال لا ترضي الله ، هذا المسلم الذي يفعل ويتراجع ، يقبل ويدبر ، يتألق ويخبو ، هذا المسلم لا يمكن أن يصل إلى الله ، لأنه حركة متراجعة ، حركة لا تقدم ولا تؤخر .

الوسائل الفعّالة من خلال الكتاب والسنة التي تعين على المتابعة والاستمرار :

١ - الإقبال على القرآن الكريم :

أيها الأخوة الكرام ؛ إلى موضوع الخطبة : الوسائل الفعّالة من خلال الكتاب والسنة الصحيحة التي تعين على المتابعة والاستمرار ، على مداومة الإقبال ، على مداومة الطاعة ، على مداومة التألق ، على مداومة الإقبال على الله . .

الشيء الأول هو : الإقبال على القرآن الكريم ، لأنه حبل الله المتين ، لأنه النور المبين ، لأنه الصراط المستقيم ، هذا منهج الله ، كيف نقبل عليه ؟ نقبل عليه تلاوةً ، ونقبل عليه حفظاً ، ونقبل عليه فهماً ، ونقبل عليه تطبيقاً . تلاوةً ، وحفظاً ، وفهماً ، وتطبيقاً ، إليكم الدليل قال تعالى :

﴿لَوْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا

﴿جِنَّاتِكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾

[سورة الفرقان: ٣٢-٣٣]

إذا كان القرآن الكريم مُثَبِّتًا للنبي عليه أتم الصلاة والتسليم ، فكيف بنا نحن الضعاف ؟ كيف بنا نحن المُقَصِّرُونَ ؟ إذا القرآن الكريم ، الإقبال عليه ؛ تلاوةً ، وحفظاً ، وفهماً ، وتدبراً ، وتطبيقاً ، هو أحد الوسائل الفعالة لثباتك على هذا الدين القويم .

أيها الأخوة ؛ هو كلام الله ، ومن قرأ كلام الله كان مع الله ، لذلك قالوا : إذا أردت أن تتاجي ربك فصل لأن الصلاة ذكرٌ ، وإذا أردت أن ينجيك ربك فاقراً القرآن ، إذا أردت أن تتاجي ربك فصل لأن الصلاة ذكرٌ لله عز وجل ، قال تعالى :

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه : ١٤]

أما إذا أردت أن ينجيك ربك فاقراً القرآن ، وقد قال بعض العلماء : إن القرآن هو روح الروح . روحٌ لنفسك ، هذا الجسم يحتاج إلى مدد ، يحتاج إلى طعام ، إلى شراب ، إلى راحة ، وهذه النفس تحتاج إلى روح تتألق بها ، إنه القرآن الكريم ، هو كلام الله ، ومن قرأ كلام الله كان مع الله .

أيها الأخوة الكرام ؛ ألا يكفيننا قوله تعالى :

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

ما أكثر الأمراض النفسية ! ما أكثر الأزمات ! ما أكثر الأخبار المؤلمة ! إنك إن تلت القرآن الكريم اطمأنت نفسك ، اطمأن قلبك ، وارتاحت نفسك ، واستبشرت بأنك مع الله دائماً ، لأنك مع المنهج الصحيح .

تزويد القرآن الإنسان بالتصورات و الموازين الصحيحة :

يا أيها الأخوة الكرام ؛ مع شيء من التفصيل : القرآن يزودك بتصوراتٍ صحيحة ، وكم يشقى الإنسان لو كانت تصوراته غير صحيحة ، تصور صحيح عن الكون ، وعن الحياة ، وعن الإنسان ، القرآن يزود المسلم بالتصورات الصحيحة ، ويزوده ثانيةً بالقيم الصحيحة ، قد تنشأ قيم مادية ، قد يعيش الناس قيماً باطلة مستمدة من الحياة المادية ، فالقرآن دائماً إذا قرأته يعيدك إلى القيم الأصيلة ، إلى القيم التي تنفك بعد الموت ، إلى القيم التي ترفعك عند الله عز وجل ، أما إذا

ابتعدت عن القرآن ، تحكمت فيك قيم المادة ، تعظم أرباب الأموال ، تحتقر الفقراء ، تعظم الأذكياء ، ولو كان ذكاًؤهم شيطانياً ، فكما اقتربت من القرآن الكريم ، اقتربت من القيم الصحيحة ، وكما ابتعدت عن القرآن الكريم اقتربت من القيم المزيفة الباطلة التي تتهاوى عند الموت وتسقط ولا شأن لها إطلاقاً .

أولاً : القرآن الكريم يزودك بالتصورات الصحيحة عن حقيقة الحياة ، عن حقيقة وجودك ، عن حقيقة الكون ، عن حقيقة المصائب ، عن حقيقة الغنى ، ويزودك بالقيم الصحيحة التي إذا تمسكت بها نفعتك في الساعة الحرجة ؛ ساعة مفارقة الدنيا .

أيها الأخوة الأكارم ؛ والقرآن الكريم يقدم لك الموازين الصحيحة ، التي تزن بها الأمور ، وكثيراً ما يشقى الإنسان من استخدام ميزان غير صحيح ، قد تستخدم أنت ميزان المال فتشقى ، وقد تستخدم ميزان القوة فتشقى ، وقد تستخدم ميزان الوسامة في اختيار الزوجة فتشقى ، أما إذا استخدمت الموازين الدقيقة التي جاءت في القرآن الكريم فتسعد ولا تشقى ، التصورات ، والقيم ، والموازين هي التي تصونك من الهلاك وتحملك من الشقاء .

أيها الأخوة الكرام ؛ وإذا قرأت القرآن ، القرآن وأنت لا تشعر يردُّ على الشبهات ، التي تنشأ في نفسك ، فقد تجد إنساناً بعيداً عن الدين أشدَّ البُعد ، يزداد قوة وبأساً وغنى ومضاءً وتألقاً وهو مقترفٌ لكل المعاصي ، فهذا الإنسان يوقع الخلل في تصوراتك ، فإذا قرأت القرآن ردَّ لك الله عز وجل هذه الشبهة . .

﴿ لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٦-١٩٧]

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾

[سورة الأنعام : ٤٤]

إذا فضلاً عن أن القرآن الكريم يقدم لك التصورات الصحيحة ، والقيم الصحيحة ، والموازين الصحيحة ، يرد لك على الشبه التي قد تنشأ في نفسك .

أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان رجلان إما أنه يُعنى بكلام خالق البشر ، وإما أنه يعنى بكلام البشر ، دقق فيمن حولك ، دقق في أقربائك ، في زملائك ، في جيرانك ، استمع إلى حديثهم ، هناك إنسان لا يعنيه إلا كلام البشر ، يعلق عليه أهمية كبرى ، يأخذ هذا الكلام ويحلله ويدرس أبعاده وهو كلام البشر ، وكلام البشر لا يقدم ولا يؤخر ، لذلك فرق كبير بين أن يمتلئ كيائك بكلام خالق البشر ، وبين أن يمتلئ كيائك بكلام البشر ، كلامٌ قد لا يعني شيئاً ، قد لا يُطابق الحقيقة ، قد يكون كذباً وزوراً ، قد يكون بُهتاًناً ، قد يكون تضليلاً ، قد يكون افتراءً ، قد يكون إفكاً ، هذا كلام البشر ، لكنك إذا ملأت كيائك بكلام خالق البشر ، أنت مع الكتاب الذي لا ريب فيه . .

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

[سورة فصلت : ٤٢]

أيها الأخوة الكرام ؛ المؤمن الصادق يجعل همه الاعتناء بكلام خالق البشر ، وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه ، دقق أيها الأخ الكريم في هذه الآية الكريمة :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة إبراهيم : ٢٧]

الإنسان إذا أمضى عمره مؤمناً بمبدأ غير صحيح ، تهاوى أمامه كما يتهاوى العنكبوت ، ماذا يفعل ؟ رجل يعيش في بلاد الغرب ، يعيش في مستوى ثقافي رفيع ، وفي بحبوحة مادية كبيرة ، وفي شأن اجتماعي كبير ، انتحر قبل أشهر ، كتبت عنه مقالات طويلة عن سبب انتحاره ؛ لا شيء يدعو إلى انتحاره ، إلا أن صحفياً واحداً كشف الحقيقة ووضع يده عليها ، لقد آمن بمبدأ ثبت بطلانه فاحتقر ذاته ، احتقر وجوده ، احتقر فكره ، الإنسان إذا تعلق بمبدأ أرضي وضعي تهاوى أمامه كما يتهاوى بيت العنكبوت ، بماذا يشعر ؟ يشعر بالإحباط ، إنك إن كنت مع الله عز وجل لن تزيدك الأيام إلا ثباتاً على هذا المبدأ ، إنك إن كنت مع الله عز وجل لن تزيدك الأحداث إلا يقيناً بهذا المبدأ ، لذلك إذا كنت مع القرآن ، ومع خالق البشر ، ليس في حياتك مفاجأة ، وليس في حياتك إحباط ، وليس في حياتك ندم ، هذا أيها الأخوة معنى قوله تعالى :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

[سورة إبراهيم : ٢٧]

الشيء الأول الذي يعينك على الثبات : الإقبال على القرآن ؛ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، الاقتباس من تصورات القرآن للكون والحياة ، اقتباسك الموازين منه ، اقتباسك القيم منه ، القرآن يرد على الشبهات التي تعيش في نفسك ، القرآن هو القول الثابت ، القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه ، القرآن كتاب لا ريب فيه ، القرآن كلام خالق البشر ، وينبغي للمؤمن أن يهتم بكلام خالق البشر ، لا أن يهتم بكلام البشر ، كلام لا يقدم ولا يؤخر .

٢ - التزام شرع الله عز وجل والعمل الصالح :

الشيء الثاني أيها الأخوة الذي يعينك على الثبات على الإيمان : التزام شرع الله عز وجل والعمل الصالح ، طالبني بالدليل ، قال تعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾

[سورة النساء : ٦٦]

ما الذي يعينك على الثبات على الإيمان ؟ على الإقبال على الله ؟ على التألق ؟ أن تلتزم شرع الله عز وجل ، إنك إن التزمت شرع الله فأنت على المنهج القويم ، وعلى الصراط المستقيم ، وعلى الطريق المعبد ، تتركب مركبة وأنت على الطريق المعبد ، وكل شيء واضح على هذا الطريق .

هكذا أيها الأخوة التزام مبادئ الشرع في زواجك ، في تجارتك ، في شرائك ، في بيعك ، في احتفالاتك ، في كل مناسبات حياتك ، في كل مناحي حياتك ، التزام الشرع هو الذي يعينك على الثبات على هذا الدين . .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾

[سورة النساء : ٦٦]

أيها الأخوة الكرام ؛ كان أصحاب النبي عليهم رضوان الله إذا عملوا عملاً أُتْبِتُوهُ ، داوموا عليه، وكانت السيدة عائشة إذا عملت عملاً لَزِمَتْهُ ، ولا يزال عبيدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فأنت لو لزمت مجلس علم ، حافظ على هذا المجلس ، يربو الإيمان في قلبك ، تتراكم الحقائق عندك ، هذه الحقائق إذا تراكمت حملتك على طاعة الله ، وعلى الاستقرار النفسي، وعلى السعادة الروحية .

الشيء الثاني إذاً أن تتعرّف إلى أمر الله ، وأن يكون أمر الله في حياتك نافذاً ، قال تعالى :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال : ٣٣]

قال العلماء :

﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

أي سنّتك في حياتهم مُطَبَّقة ، إذا كان بيتك إسلامياً ، وعملك إسلامياً ، وأصدقائك إسلاميين أنى لك الزينج ؟ وأنى لك الانزلاق ؟ وأنى لك الشقاء ؟ وأنى لك الهلاك ؟ إنك مصونٌ بسياجٍ منيعٍ من شرع الله عز وجل .

٣ - تدبّر قصص الأنبياء :

الشيء الثالث من الوسائل الفعّالة على الثبات على الإيمان : تدبّر قصص الأنبياء ، هذه القصص التي جاءت في القرآن الكريم ما ذكرها الله عبثاً ، وما ذكرها الله كقصة تُمَتِّعَكَ وتمضي بها وقت فراغك ، حاشا لله أن يكون كلام الله عز وجل تزجيةً للوقت ، وأن يكون متعةً فنيةً للقارئ ، إنه أخطر من ذلك ، دقق في هذه الآية أيها الأخ الكريم ، أنا أعطيك الدليل من كتاب الله من كل وسيلة فعّالة ، قال تعالى :

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة هود : ١٢٠]

سيدنا إبراهيم ، لمن هذه القصة ؟ لنا نحن ، هل من مصيبةٍ أكبر من أن تضرم النار أياماً عديدة إلى أن تبلغ أوج انتقادها فيلقى هذا النبي الكريم فيها ؟ فيقول الله عز وجل :

﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾

[سورة الأنبياء : ٦٩]

الله فعّال ، الغربيون يعتقدون أن الله خلاق وليس فعّالاً . . هو في السماء إله وفي الأرض إله ،
والأمر كله بيده ، فإذا كنت معه فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟

﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾

[سورة الأنبياء : ٦٩]

والمؤمن الصادق يرى لا بهذه الحدة ، ولا بهذا الوضع المعجز ؛ لكن يرى حالات كثيرة
ومناسبات عديدة تتدخل فيها العناية الإلهية فتقذه من ورطته ، وتتقذه من محنته ، وتحميه من
بأس الظالمين . .

﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾

[سورة الأنبياء : ٦٩]

هذه القصة ليست للتسلية ، ولا للمتعة ، وليست تاريخاً ، إنها درس متجدد يقرؤه المؤمن فترتفع
معنوياته ، ويرى أن الله معه ولن يتخلى عنه . أصحاب موسى :

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ﴾

[سورة الشعراء : ٦١]

فرعون بكل قوته ، بكل جنوده ، بكل بأسه ، بكل بطشه ، يلاحق موسى وأصحابه ، إلى أن
وصل موسى وأصحابه إلى البحر .

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

[سورة الشعراء : ٦١-٦٢]

هل من أمل ؟ القوة الكبرى وراءك والبحر أمامك ما السبيل ؟ إنها عناية الله عز وجل . .

وإذا العناية لاحظتك جفونها نم فالمخاوف كلهن أمان

* * *

شيء آخر : هل من مصيبة أقطع وأخطر من أن تجد نفسك في بطن الحوت ؟ في ظلمة بطن
الحوت ، وفي ظلمة الليل البهيم ، وفي ظلمة البحر المخيف ؟

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ

النِّعَمِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء : ٨٧-٨٨]

لذلك يعدُّ تدبُّر قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم وسيلة فعالة من وسائل الثبات على
الإيمان ، ويمكن أن نضيف على ذلك أن قصص العلماء الصادقين الموحدين ، الذين طبّقوا أحكام
هذا الدين ، وأخلصوا لله رب العالمين ، إن قصص هؤلاء أيضاً وسيلة فعالة في الثبات على الدين
، وإذا كان الإنسان يأنس بالقصة فإنه يسعد بقصة رجل مؤمن عرف الله سبحانه وتعالى وقطف
ثمار إيمانه . . القصة أيها الأخوة حقيقة مع الزهارة عليها ، ولا تنسوا قوله تعالى :

﴿وَكَلَّا نَقْصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

[سورة هود : ١٢٠]

أنت تتثبتُ على الإيمان إذا لزمك شرع الله الحكيم ، وتثبت على الإيمان إذا تدبّرت قصص الأنبياء ، وتثبت على الإيمان إذا أقبلت على القرآن .

٤ - الدعاء :

لا زلنا في الوسائل الفعالة التي تعين المؤمن على أن يثبت على إيمانه ، ويأتي الدعاء كوسيلة رابعة ، والدليل قول الله عز وجل :

﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾

[سورة آل عمران : ٨]

. الدعاء . .

﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة البقرة : ٢٥٠]

. الدعاء .

((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))

[من الجامع لأحكام القرآن عن شهر بن حوشب]

دعاء النبي .

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة يوسف : ٢٣]

دعاء سيدنا يوسف ، قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء . إذا علم الله منك الإخلاص في عبادته ثبت الله قلبك ، وإذا علم الزيغ في قلبك ، الزيغ عن عبادته زاغ قلبك . .

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

[سورة الصف : ٥]

القلب مُحَرِّكٌ ، وهو بيد الله ، لكنك أنت المُخْتَار ، إذا اخترت طاعة الله ولو كانت العقبات كثيرة تثبت الله قلبك ، وإذا اخترت معصية الله ، ولو كانت المُسَهِّلات كثيرة زاغ قلبك ، لذلك أحد الوسائل الفعالة أن تدعو الله بالثبات ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان أكثر دعائه :

((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))

[من الجامع لأحكام القرآن عن شهر بن حوشب]

والقرآن الكريم يؤكد ذلك :

﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾

[سورة آل عمران : ٨]

﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة البقرة : ٢٥٠]

هذه الوسيلة الرابعة : الدعاء ، أن تدعو الله دائماً بالثبوت ، يا رب ثبتني على دينك ، يا رب قوِّ إيماني .

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة يوسف : ٣٣]

يا رب أعنِّ على طاعتك . وهذا معنى قوله تعالى :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

[سورة الفاتحة : ٥]

بل إنه قد ورد : جمع القرآن في الفاتحة ، وجمعت الفاتحة في إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا حول على معصيته إلا به ، ولا قوة على طاعته إلا به ، فالدعاء إذاً أحد الوسائل الفعالة للثبات على الإيمان .

٥ - ذكر الله تعالى :

عنصر آخر من عناصر الثبوت : ذكر الله تعالى ، الآية الكريمة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٤٥]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

الأمر على " كثيراً " لا على الذكر .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً .

﴿اِذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٤٥]

كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمرٌ بادر إلى الصلاة ، كان يقول لبلال :

((أرحنا بها يا بلال))

[أبو داود عن سالم بن أبي الجعد]

فذكر الله يُثَبِّت . . .

﴿إِنَّمَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

آياتٌ كثيرةٌ وأحاديثٌ صحيحةٌ ومواقفٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلها تؤكد أن ذكر الله الذكر الكثير يدعو إلى الثبات .

والعنصر السادس في موضوعنا : هو الالتفاف حول العناصر المُثَبِّتة ، اسمع إلى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : ١١٩]

لابدّ من بيئةٍ إيمانيةٍ تحتويك ، لابد من جوٍ صحيٍ تعيش فيه ، لابد من إخوانٍ طيّبينٍ تأنس بهم ، أما إذا وضعت نفسك في بيئةٍ سيئةٍ ، ومع أصدقاءٍ منحرفين ، ومع زملاءٍ فاجرين أنّى لك اليقين؟ وأنّى لك الثبات على دين الله القويم ؟ لابد من بيئةٍ صالحة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَنَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الممتحنة : ١٣]

ومن يتوله منكم فإنه منهم ، لابد من أن تختار بيئةً مؤمنةً تعيش فيها ، لا بد من لقاءاتٍ مع المؤمنين ، أوقات الفراغ لا تُمضى مع الكفار الفاجرين ، وهذا كله تؤكد الآية الكريمة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : ١١٩]

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف : ٢٨]

أيها الأخ الكريم ؛ الإنسان بشكل أو بآخر كهذا الوعاء الذي يستخدم لشرب الماء، وعاءٌ كبير ، له فتحةٌ علوية ، وله صنوبر في أسفله ، أي شيءٍ تضعه فيه تأخذه من صنوبره الأسفل ، والإنسان وعاء ؛ التغذية الثقافية التي يتغذى منها هو الذي يعطيها ، فلو أحاط الإنسان نفسه بتغذيةٍ شيطانيةٍ ، بكلامٍ باطل ، بأخبارٍ فاحشةٍ ، هذه التغذية السيئة تُعطي السلوك السيئ ، أما إذا أحاط نفسه بمؤمنين صادقين ، إذا كان مع كلام رب العالمين ، مع سيرة سيد المرسلين ، مع سير الصحابة والتابعين ، إذا كان كذلك فكيف يتحرّك ؟ ماذا يعطي ؟ يعطي الخير ، يعطي الحق ، يعطي الجمال ، فالتغذية الثقافية أخطر شيءٍ في حياة الإنسان ، قل لي من أين تتغذى ثقافياً أقل لك من أنت ؟ هذا معنى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : ١١٩]

لابد من أن تكون مع المؤمنين ، مع أهل الحق ، لابد من أن تكون في بيتٍ من بيوت الله ، لابد لك من أن يكون لك مجلس علم تتغذى به ، فإن لم تتغذّ بالعلم الصحيح تغذيت بالعلم المزور ، إن لم تتغذّ بسير الصالحين تغذيت بسير الفنانين ، وفرقٌ كبير بين هؤلاء وهؤلاء ، انظر إلى التغذية الثقافية التي تتغذى بها إنها سبب السلوك المستقيم ، إنها سبب سعادة الدارين .
أيها الأخوة الكرام ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير))

[الجامع لأحكام القرآن عن أنس بن مالك]

قد تصحب مؤمناً ، كل أبواب الخير تفتح على يده ، وقد تصحب فاسقاً هو مفتاح للشر ، مفتاح للدمار ، يدلك على عمل منحرف ، على كسب مال حرام ، على غصب ، على عدوان ، على بغي ، على كذب ، على زور ، إن الفاجر والفاسق مفتاح للشر ، أما إذا صحبت مؤمناً فهو مفتاح للخير ، لذلك ورد في الحديث الصحيح :

((لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي))

[من تفسير ابن كثير عن أبي سعيد]

هذه البيئة ، مع من تعيش ؟ مع من تسهر ؟ مع من تسافر ؟ مع من تنتزه ؟ هذه البيئة يجب أن تختارها من المؤمنين الصادقين . وفي الحديث الصحيح :

((خياركم الذين إذا رؤوا نكروا الله بهم))

[البيهقي عن عمر]

يقول بعض العلماء : كنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساعت منا الظنون ، وضافت الأرض ، أتينا شيخنا ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله عنا .
أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من أن تكون مع المؤمنين ، لا بد من مجلس علم يحضنك ، لا بد من رجل تثق بعلمه وورعه تستشيره ، لا بد من أخ مؤمن مخلص ترتاح إليه ، تمضي وقت فراغك معه . إذا الالتفات حول العناصر المثبتة أحد الوسائل الفعالة في الثبات على الإيمان .

٧ - الدعوة إلى الله :

بقي شيء دقيق جداً هو : أن تدعو إلى الله ولو كنت في أول الطريق . ما أثر الدعوة إلى الله في نفسك ؟ أنت حينما تدعو إلى الله ، وحينما تخلو مع نفسك ، وحينما تتحرك في بيتك ، وفي عملك ، هناك سؤال خطير خطير يطرح عليك دائماً : هل أنت كذلك ؟ ماذا قلت للناس صباحاً ؟ هل أنت كذلك ؟ ألا تستحي منا ؟ أنت إذا دعوت إلى الله حاسبت نفسك بعدها حساباً عسيراً عسيراً .

لذلك أحد الضمانات إن لم تدع إلى الله عز وجل . . أيها الأخوة ؛ الحقائق النفسية الثابتة أن النفس إن لم تتحرك تأسن ، وإن لم تتطلق تتعفن ، بالبيت ؛ لا يدعو إلى الله ، لا ينصح ، لا يأمر بالمعروف ، لا ينهى عن المنكر ، ليس له علاقة بأحد ، بعيد عن الناس كلياً ، متوقع ، النفس إن لم تتحرك تأسن كالماء الآسن ، وإن لم تتطلق تتعفن ، إن الدعوة إلى الله وظيفة الرسل جميعاً ، إنها صنعة الأنبياء جميعاً ، إنها أعظم عمل على الإطلاق . .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة فصلت : ٣٣]

إن لم تدعُ إلى الله عز وجل فأنت في موقف الدفاع أمام الشيطان ، كلما جاءك سهمٌ اتقيته ، موقف المدافع دائماً موقف ضعيف ، لكنك إن دعوت إلى الله كنت كمن يهاجم الباطل . أيها الأخوة الكرام ؛ بالدعوة إلى الله تتفجر الطاقات ، بالدعوة إلى الله تتجزر المهمات ، دائماً وأبداً إذا دعوت إلى الله يأتيك هذا الخاطر اليومي ، الساعي : هل أنت كذلك ؟ تذكر ماذا قلت للناس ؟ هل أنت كذلك ؟ هذا الهاجس هو الذي يجعلك تضاعف الطاقات وتحث السير إلى الله عز وجل .

أخواننا الكرام ؛ حقيقة ثانية : نفسك إن لم تشغلها بالدعوة إلى الله شغلتك بالدنيا ، تقع في زخارف الدنيا ، تقع في تزيين البيوت ، في إنشاء البيوت في المصايف ، في إنشاء المزارع ، ويأتي ملك الموت فجأةً ولست مستعداً لمغادرة الدنيا ، إن لم تشغلها بالدعوة إلى الله شغلتك بالدنيا الفانية ، التي لا تنفعك عند الموت ، النفس فيها ديناميكية ، فيها حركة ، هذه الحركة إن لم توجهها توجيهاً صحيحاً تحركت حركة مهلكة ، الإنسان عنده طاقات ، عنده حركة يومية ، أذكى إنسان ، وأعقل إنسان ، وأشد الناس توفيقاً هو الذي يوظف هذه الحركة في عمل ينفعه بعد الموت ، بإمكانك أن تعطي لأخٍ تثق بإيمانه شريطاً ، أن تعطيه مقالةً ، أن تذكره بآيةٍ، بحكمةٍ ، بحديثٍ . إن دعوت إلى الله أنت أول المنتفعين ، أول منافع بالدعوة هو الداعي نفسه ، لأن العلم يزكو على الإنفاق ، يا كميل مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق .

٨ - الثقة بنصر الله :

أيها الأخوة الكرام ؛ بقي عنصر أساسي في الثبات على الإيمان . الثقة بنصر الله ؛ النبي عليه الصلاة والسلام في أثناء طريق الهجرة كان ملاحقاً ، وكان مهدوراً دمه ، وقد وضعت قريش جائزةً كبيرةً كبيرةً لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، ولحقه سُرّاقة ، وحينما أدركه ساخت قدما خيل سُرّاقة في الرمال - والقصة معروفة عندكم - لكن التعليق الذي يعنيني أن أقوله لكم : ماذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام ؟ النبي ملاحق ، مهدور دمه !! قال له :

((يا سُرّاقة كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟))

[من شرح الجامع الصغير]

كلامٌ لا يصدق ، أنت ملاحق ، أنت مهدورٌ دمك ، ماذا يعني كلام النبي ؟ يعني كلام النبي أنه سيصل إلى المدينة ، وسيُنشئُ كياناً إسلامياً ، وسيحارب أعداء المسلمين ، وسيُنصر عليهم ، وستسقط المدائن معقل الفُرس ، وسيأتي الجنود بتاج كسرى وسواريه . هذا معنى كلام النبي وقد تحقّق ، ودعا عمر بن الخطاب سُرّاقة ؛ وألبسه تاج كسرى ، وسوارى كسرى ، وأثواب كسرى وقال : " أُعيرَابي من بني مدلج يلبس سوارى كسرى ؟!! " . ماذا يعني هذا الكلام ؟ يعني أن

النبي كان واثقاً بنصر الله ، وهذا شأن المؤمنين ؛ الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن المؤمنين ، ولا يتخلى عن دينه ، وحينما يتوهم المؤمن أو الإنسان أن الله ينصر الشرك على التوحيد والباطل على الحق نصراً ثابتاً مستقراً بحيث لا تقوم للحق قائمة ، فهو لا يعرف الله ، وقد أساء الظن بالله عز وجل ، وهذا الظن ظن الجاهلية ، الثقة بنصر الله ، أنت مع خالق الكون ، أنت مع مُبدع الكون ، أنت مع من بيده كل شيء ، مع من بيده ملكوت السموات والأرض ، كيف تخنع ؟ كيف تضعف ؟

﴿مَنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران : ١٤٦]

هذا عنصرٌ أساسي : الثقة بأن الله لا يتخلى عن المؤمنين ، وأن الله لا يتخلى عن دينه القويم ، وأن الله سينصر دينه إن عاجلاً أو آجلاً ، هذا العنصر أساسي جداً في الثبات على الدين . النبي عليه الصلاة والسلام في معركة الخندق حينما حاصر الكفار المسلمين ، وحينما نقض اليهود عهدهم كعادتهم مع المسلمين ، وحينما أصبح الإسلام قضية ساعات ، أصبح دمار المسلمين وإبادتهم عن آخرهم قضية ساعات ، حتى قال قائل قائلهم : أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قَيْصَرَ وكِسْرَى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته !!؟ حتى أن الله أثبت قولهم في القرآن :

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

[سورة الأحزاب : ١٢]

ما الذي حصل ؟ قال :

﴿هَذَاكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾

[سورة الأحزاب : ١١]

أما الذين آمنوا فماذا قالوا ؟ قالوا :

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

[سورة الأحزاب : ٢٢-٢٣]

إذاً الثقة بنصر الله هذا مما يقوي معنويات المؤمن ، وحقيقة الباطل يجب أن يعرفها المؤمن :

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[سورة الإسراء : ٨١]

الباطل الاعتقادي ، النظريات الهدامة ، أي باطل سلوكي اعتقادي ، هذا الباطل له جولة ثم يضمحل ، وكم من أنواع الأباطيل تلاشت وأصبحت في مزابل التاريخ .
أيها الأخوة المؤمنون . .

كن مع الله تر الله معك واترك الكل وحاذر طمعك
وإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك؟

* * *

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الغشاء البريتوني :

أيها الأخوة الكرام ؛ في الأمعاء الدقيقة غشاء يحملها أو يثبتها ، هذا الغشاء اسمه عند الأطباء الغشاء البريتوني ، لهذا الغشاء وظيفة لا تصدق ، أولاً : لو أن الإنسان شرب ماءً يغلي ، فالأمعاء لا تشعر بالحر ، لأن حكمةً بالغةً الله عز وجل أن الأمعاء الدقيقة والغليظة ليس فيها أعصاب حس إطلاقاً ، لذلك الأمعاء محاطة بغشاء ، هذا الغشاء له وظائف كثيرة ، من وظائفه أنه يحملها ويحملها بشكلٍ مرن ، أي يسمح لها بالحركة وهو يحملها ، وهذا من أدق الأعمال ، يحملها بشكلٍ مرن ، لأن في حركة الأمعاء يحصل الهضم الذي أساسه حركة ميكانيكية ، يحملها مع حركتها المرنة ، وهذا الغشاء فيه نهايات عصبية ، وهذا الغشاء فيه مراكز لمفاوية ، هذه المراكز بمثابة أجهزة دفاع بالجسم البشري ، فلو أن التهاباً حاداً كان بالأمعاء وانتقبت الأمعاء ، الغشاء البريتوني يتحرك ليصنع مصلاً يلتهم هذه الجراثيم ، ويشعر الإنسان بالألم ، الآلام التي يحسها الإنسان في بطنه ليس مصدرها الأمعاء بل الغشاء البريتوني ، الذي هو جهاز الإنذار الأول ، لو حدث انتقاب بالأمعاء أو التهاب حاد ، وصار هناك إنتانات ، فهذا الغشاء البريتوني فيه نهايات عصبية تشعر الإنسان بالألم .

وهناك مراكز دفاع تستخبر عن طبيعة الجرثوم ، وتصنع مصلاً مضاداً ، وتلتهم الجرثوم ، وتطوق هذه المشكلة ، هذا الغشاء الرقيق تجده عند القصاب بين الأمعاء فيه عُقد بلغمية صغيرة ككتل شحمية ، هذه العقد البلغمية أجهزة دفاع من أرقى الأجهزة ، فيها جنود تكتشف طبيعة العدو ، وفيها معمل للمصول ، وفيها جنود مقاتلة ، أنت ترى غشاء رقيقاً لا قيمة له عند القصاب ، فيه عُقد صغيرة هذه العقد هي العقد البلغمية .

وفي هذا الغشاء نهاياتٌ عصبية ، فكل آلام البطن تعدُّ جهاز الإنذار المبكر ، وكل هذه الغدد تعد أجهزة دفاع عن هذه الأمعاء التي هي أساسية في حياة الإنسان ، ولكن لحكمة بالغة ليس في الأمعاء أعصاب حس ، لذلك جاءت الآية الكريمة - دققوا في هذه الآية- أعصاب الغشاء البريتوني متى تنقل الألم لصاحبها ؟ إذا حدث انتقاب في الأمعاء تصبح الآلام لا تطاق ، قال تعالى :

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

[سورة محمد : ١٥]

إن قُطِعَت الأمعاء شعر الإنسان بالألم ، إذا انتقبت الأمعاء شعر الإنسان بالألم .

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

[سورة محمد : ١٥]

هذه الآية تتوافق مع أحدث مُعطيات العلم ، ولولا أن القرآن كلام الله لما أمكن للنبي عليه الصلاة والسلام أن يكشف هذه الحقيقة ، طبيعة العصر الذي نزل فيه القرآن في كل معطياته العلمية لا تسمح بهذه الحقيقة ، هذا الغشاء الذي يتمتع بنهايات عصبية حساسة جداً لا يمكن أن تُشعرَ بالألم إلا في حالة انتقاب الأمعاء ، وأما الإحساس بالألم في الأمعاء فغير موجود ، لو أعطينا أمعاء الإنسان ماءً يغلي لا يشعر بشيء .

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾

[سورة محمد : ١٥]

متى يؤلمهم ؟ حينما يقطع أمعاءهم :

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

[سورة محمد : ١٥]

أيها الأخوة الكرام ؛ كلما كشف الإنسان حقيقة في جسمه ازداد تعظيماً لله عز وجل ، هذا كتاب الله ، هذا كتاب خالق البشر ، هو الكتاب المقرر ، هو المنهج الحكيم ، هو الصراط المستقيم ، هو النور المبين ، هو الحبل المتين .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعزُّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك اللهم ونتوب إليك . اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تُهنا ،

آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا . اللهمَّ بفضلِكَ ورحمتِكَ أعل كلمة الحق والدين ،
وانصر الإسلام وأعزَّ المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ،
وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين